

عبق الشهر الفضيل



«تهبُّ علينا هذه الأيام نفحات عطرة من عبق الشهر الفضيل، الذي يكتنف مُستقبله بالرحمة والرضوان، والذي دعا إلى سبحانه عباده فيه ليكونوا من أهل طاعته وغفرانه. ونحن إذ نستقبل هذا الشهر العظيم بالنفحات الربّانية، والآيات الروحانية، التي تفيض على مستنشقها عبق الطاعة والعبودية إلى سبحانه نحبُّ أن نُذكر أنفسنا وإخواننا بأمر طالما أكد عليه النبيّ (ص) وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) في حقّ الشهر المبارك.

إنّ سبحانه وتعالى أماكن يحبُّ أن يُدعى فيها ليحبيب، كما أنّ له أياماً يحبُّ أن يُتقرَّب إليه فيها بالطاعات ليعود على المتقرِّبين بالعطف والرحمة، فكانت منها أيام الشهر المبارك، لذا ورد عن النبيّ (ص) في الخطبة التي خطبها في آخر جمعة من شعبان أنّّه قال: "أيُّها الناس، إنّه قد أقبل إليكم شهرٌ بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عندنا أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله...". ومن هنا لا بدّ لنا من وقفة قصيرة نتأمّل فيها هذه العبارة ذات البعد الدلالي الواسع.

من المعلوم لكل أحد أن حقوق الضيف على مُضيفه كثيرة، كدُسن استضافته بالإحسان إليه، وتوفير أسباب الترفل بالنزعم، وفسح المجال له لأن يختار ما يشاء من أنواع المِلذّات المباحة. كما أن حقوق المُضيف على الضيف كثيرة أيضاً كالتأدّب بحضرتة، وحفظ حرمتة بحفظ الجوارح من أن تزيع معتدية على حقوقه، لذا لا بدّ من حفظ عينه من أن تسرق ما لا يحب النظر إليه، وحفظ يده من أن تنال ما لا يريد نيله، وحفظ لسانه من أن يخرج عن الأدب... وهكذا.

ولو قام المُضيف بآداب الضيافة لا بدّ من أن يقوم الضيف بالآداب أيضاً، وإلا لعدّ ناكراً للجميل، ولخرج عن العقلاء وعدّ في عداد المُعتدين الذين يذمّهم العقلاء.

ومن المعلوم أن سبحانه وتعالى قد قام بآداب الضيافة على أحسن وجهها.. فأى نعمة منعها سبحانه تعالى عبادته؟! وأي خير لم يرسله إليهم؟! ونعم سبحانه تعالى لا تعدّ ولا تحصى، كما قال هو جلّ اسمه: (وإنّ تعدّدوا نعمة سبحانه لا تحصوها) (إبراهيم/ 34). كما أنّه أتاح الفرصة للنيل من المِلذّات المباحة والتمتّع بهذه الدنيا مع حفظ حقوقه وحقوق الآخرين، لذا على المؤمنين التأدّب بحضرتة سبحانه، وحفظ حقوقه المتمثلة بحفظ اللسان والعين واليد وسائر الجوارح من التعديّ والزيف حتى ورد عنهم (عليهم السلام) أنّ الصيام ليس إمساكاً عن الطعام والشراب فحسب، بل هو - بالإضافة إلى ذلك - إمساك الجوارح عن المعاصي.. وكما أنّ الطاعة في شهر رمضان تعادل أضعافها في غيره من الشهور، كذلك المعصية في شهر رمضان تعادل أضعافها في غيره من الشهور، لما فيها من الهتك المضاعف.

وقد ورد عن بعض الأئمة (عليهم السلام) مخاطباً أحد صحابته: "إنّ الحسن من كلّ أحد حسن ومنك أحسن لقربك منّا، وإنّ القبيح من كلّ أحد قبيح ومنك أقبح لقربك منّا".

فلا بدّ من رعاية هذا الحقّ العظيم وأدائه على أحسن وجه مع التوجه إلى سبحانه في أن يوفق لأداء حقوقه فهو المشكور على النعمة والمشكور على شكرها، ودُسن النية معه، والإنابة إليه، وسؤاله المغفرة، والعفو عمّا سلف، والابتداء بصفحة جديدة محلها تكون بداية حقيقية، يعود فيها المؤمنون إلى رضوان سبحانه، ويحضون غفرانه فإنّ سبحانه تعالى (مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (النحل/ 128)، كما أنّه يعين من جاهد فيه ويهديه سواء السبيل (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت/ 69). ▶